

## المدى في سجن النساء ببغداد

# خلف القضبان قصص مؤلمة أبطالها ظالمون ومظلومون!

### عشرات القصص

في سجن النساء الواقع في منطقة القنطرة عشرات القصص، وخلف قضبان السجن هناك قصص مؤلمة وغير مالوفة خلف أبطالها ظالمون ومظلومون، وتبقى الحقيقة في بعض الأحيان ضائعة خلف القضبان أو في صناديق الأسرار، حتى يستيقظ ضمبر فيكتشف الحقيقة أو تلعب الصدفة دور العدالة.

عشرات، لا بل مئات من النساء سجنيات، البعض منهن في طور التوقيف والتحقيق، والبعض الآخر كن محكومات باحكام تجاوزت الـ ١٥ عاماً، وجوه النساء في السجن تختلف عن تلك التي تعيش خارجه، وجوه حزينة متعظمة للحديث عن اسباب وجودهن، منهن متورطات في عالم الجريمة بمختلف مسياتها والبعض

الأخر منهن مظلومات جاز الزمان عليهن وقسا. قصة والدة نبأ لم تكن الوحيدة الخيرة للهدشة وطرح الإسئلة. تقول ام نبأ: كنت ضحية امرأة أوفتني بالمال ودفعتني لممارسة البغاء واستغلت حاجتي الى المال، كنت انهب معها بصحبة نساء اخريات، وبعضهن الآن معي في السجن، حكم علينا به ١٥ عاماً حسب القانون العراقي السابق والمعول بالبراءة ولا نعلم كيف حدث ذلك رغم اننا امام القانون بالتهمة نفسها؛ كانت تلك المرأة ثعباناً النك علينا واستغل حاجتنا الى المال، كانت تسافر الى احدى الدول المجاورة، وكنا نذهب بصحبتها ونمارس هناك البغاء والرخص في الملاهي لكن فجأة التقى القبض علينا بينما كنا في احد البيوت نمارس اللعبة البسيطة، وتواصل ام نبأ: انجبتنا وانا حامل بنياً، مشيرة الى ابنتها التي كانت تلتهو ببعض اللعب البسيطة، وتواصل ام نبأ: انجبتنا في السجن ايضاً وهي تبلغ الان من العمر عاماً ونصف العام، وبنيا ليست ابنتي الوحيدة انما هناك اربعة اطفال يسكنون مع والدهم الذي كان يفتني الى عمل الرزيلة من اجل الحصول على المال؛ صممت ام نبأ وقالت بصراحة: اود ان أسأل لماذا يحكم علينا به ١٥ عاماً بتهمة ممارسة البغاء ومن يقوم باعمال اراهبية لايحكم باكثر من عامين؟ ونحن بعلقتنا تلك لانضر شخصاً انما نضر انفسنا لكن من يفجر ويقتل يفرض الناس جميعاً، واضافت: لا أريد هنا ان ابرر الجرم الذي ارتكبناه.

بينما قصته (س) التي زرعت ثلاث اطلاقات نارية في جسده زوجها قبل ان يلفظ أنفاسه الأخيرة الخائفة على حد وصفها. تقول "س" التي رفضت ذكر اسمها دون ان تبرز لنا ذلك؛ حذرته اكثر من مرة من ان لايتي بعشيقته الى البيت، لكنه كان يفعل العكس، يأتي بها الى بيتي وعلى فراشي يمارس معها الفعل الجنسي، فقدت عقلي وصابوي، ولم اتمالك لفتلته المتكررة فانتقلت لكرامتي، و بينما كان يمارس الفعل الجنسي مع عشيقته اريدته قليلاً في الحال بثلاث اطلاقاً، ومع الاسف لم تتل عشيقته من غضبي شيئاً وانا الان نادمة على ذلك فقد كانت تستحق الموت ايضاً، وتستذكر (س)، لقد ذهبت الى مركز الشرطة وسلمت نفسي، وحكم عليّ جراً فعليتي تلك (١٠ سنوات سجن)، قضيت منها ٣ سنوات لم ار اطفالي فقدا أخذهم أهل زوجي ومنعوني من رؤيتهم.

### تحرق زوجها انتقاماً

وفي مكان غير بعيد عن (س) كانت (صابرين) مرتبة شاكبة فهي لم تفعل شيئاً يستحق السجن لأن ما قامت به كان دفاعاً عن النفس ضد نذب بشري كان ينوي نهش عرضها، وحسب ما تقول: أنها أطلقت ١٧ رصاصة مزقت جسد والدها الذي اعتدى على شقيقها وأراد إن يعتدي عليها ايضاً فقد كان فائد الوصي والصواب لتناولها الحبوب المخدرة، وهي ايضاً كانت غير سوية في تصرفاتها

## ثلاث محاكم في بغداد غير كافية لحجم القضايا المعلقة في أصابير التحقيق

وسط الجدران الكونكريتية التي تحيط بسجن النساء وبين اروقة زرنائته، كانت الطفلة نبأ تنبوحو الباب الحديدية الموصد يقفل حديدي كبير، و بمجرد أن سمعت صوت مفتاح الباب يدور في القفل، هزعت مسرعة لتستقبلنا بابتسامة وبراءة الاطفال وهي ترتدي ثوبيا احمر مطرز بورود بيض، كانت نظراتها تتركز باتجاه الباب وهي تهتم بالخروج، لكن الوقت لم يكن مناسباً، ففي هذه اللحظة حلت استراحة السجينات، سحبتها والدتها من ذراعها وحملتها على كتفها لتتدفق الطفلة دموع الحزن على اكتاف والدتها التي كتب عليها ان تقضي ١٥ عاماً في السجن بتهمة ممارسة البغاء!

### تحقيق وتصوير / ايناس طارق

فقد كانت تمدن على الحبوب، وحقيقة عندما أرادت التكلم معنا كانت تصرفاتها تثير الشك والخوف من ان تفعل مشكلة أو حركة طائشة لانها قبل يوم واحد من لقائنا كانت قد ضربت كف يديها اليسرى بالة حديدية كانت كافية لغرزها بـ ٦٦ غرزة، وفي اليوم ذاته كانت تحاول ان تجرح احدى السجينات بقطعة حديدية سرقها من النفايات الخاصة بطباية السجن.

### مدير سجون بغداد

يقول ناظم المالكي مدير سجون بغداد: ان من هم المشاكل التي تواجه دائرة اصلاح السجون العراقية، عدم وجود بنايات كافية تحوي الاعداد الهائلة للموقوفين والمحكومين، فضلاً عن ان دائرة الإصلاح تفقد بنايات المعامل والورش التي يمكن ان توهر وتعلم السجون حتى يستطيع بعد خروجه مزاولة مهنة معينة تساعد على الكسب الحلال وتعدده عن عالم الجريمة والانصراف، إضافة الى اقتطاع دائرة الإصلاح الى القاعات الرياضية المفتوحة والمغلقة، وبالرغم من ذلك وزارة العدل تحاول ان تقدم كل ما تستطيع من خدمات أفضل إلى الموقوفين والمحكومين على حد سواء.

### قضايا الموقوفين

واسرسل المالكي في حديثه قائلاً: ان واجب دائرة اصلاح السجون هو متابعة ملفات الموقوفين مع جهتي الاحالة وهما وزارة الداخلية والدفاع، ومن ثم رفع بيانات الى مجلس القضاء العراقي، وحقيقة الموقوفين ان بعضهم تجاوز قضايهم أكثر من ٦ اشهر بعد عرض قضايهم على القضاء، وهناك بعض الموقوفين تجاوزت مدة موقوفيتهم السقف الزمني، وهذا يعزى الى الاعداد الهائلة من القضايا وقلة المحاكم حيث يوجد في بغداد ٣ محاكم فقط لحسم مثل هذه القضايا.

### قضايا المحكومين

إما فيما يخص قضايا المحكومين فقد أشار مدير السجون الي: إن الكثير من القضايا تتأخر المصادفة عليها بسبب الإفراج الشرطي، فعلى ما يأتي المحكوم وتنتهي فترة حكمه والإفراج الشرطي لم يصابق عليه من المحكمة، وهنا يأتي دور دائرة الإصلاح وبايعان من وزير العدل والمدير العام، بحضور متابعة قضايا الإفراج الشرطي لأغلب الموقوفين الذين تم توقيفهم بفعل مذكرة اعتقال من القوات المتعددة الجنسية، من اجل جردها وعرضها على لجنة شؤون الموقوفين التي تشكلت بامر رئيس الوزراء وقسمت هذه اللجنة الى فرعين (الكرخ، الخرافة)، هذه اللجان تنظر بمذكرة جميع الموقوفين (الدعاوى) ان كانت صادرة من القوات المتعددة الجنسيات او الجانب العراقي، واذ تبين عدم وجود شهود او ادلة او مشتك بحق الموقوف يتم الإفراج عنه فضلاً عن عدم وجود شكاوى ضده في التسجيل الجنائي او مراكز الشرطة العراقية، وقد تم الإفراج قبل فترة ليست بقصيرة عن ٥٦ موقوفاً، وجميعهم كانوا موقوفين في معسكر كروبر (الكرخ).

### لجان حقوق الإنسان

واكد المالكي في حديثه قائلاً: هناك تدخل من قبل لجان حقوق الإنسان في الوقت الحاضر بشكل يضارب مع عمل دائرة الإصلاح، لان جميع الموقوفين مع الاسف لا يفهمون ماهي المبادئ والصيغ لحقوق الإنسان، ويعتقدون ان للموقوف حقاً في كل شيء يطلبه ولا يجب حرمانه من اي شيء، وهذا مخالف لقوانين الإصلاح، لان قوانين حقوق الإنسان ليست جديده ببندوها عن العراقيين وهم متميزون بحفظ المبادئ وكيفية التعامل والحفاظ عليها، فقد تم اذلال عدد من كوادر الدائرة في دورات تطويرية لغرض فهم وتقنيف الموقوف حول طبيعة مبادئ حقوق الإنسان.

## مدير سجون بغداد: لا بنايات كافية لاحتواء أعداد الموقوفين والمحكومين

## مديرة سجن بغداد: لا متسلطات بين السجينات والجميع يعاملن سواسية

بجرائم الجنائيات، والثلاث للمحكومات والموقوفات ايضاً على المادة القانونية ٤ ارباب، وقاطع للمفرج عنهن.

### مشاكل السجينات

واستدرك المالكي في حديثه قائلاً: قبل فترة معينة لا تتجاوز عدة اشهر قامت بعض النسوة في السجن (قاطع ٤/ارهاب) يبلغ عددهن ١٥ سجنية بالتهجم والشتيم على مديرية القسم

وعلى جميع الموظفين، وعلمن على خلق فوضى والعبث بالكهرباء، فضلاً عن حرقهن الافرشة الخاصة بالقسم، الامر الذي تطلب التدخل المباشر من قبل الدائرة للوقوف على اسباب حدوث ذلك، تبين من خلال التحقيق، انهن مفردات ولا يرغبن بالبقاء داخل السجن، ولكنهن نساء تم اعطاهن فرصة ثانية بناء على توجيهات وزير العدل والمدير العام للدائرة، وتم اخذ تعهد بعدم تكرار الحالة، لكن بعد مرور نصف ساعة فقط، عدن الى التهجم والشتيم على الموظفين في القسم الامر الذي تطلب نقلهن إلى سجون المحافظات، مثل سجن محافظة الناصرية والعمارة، وقبل فترة تمت إعادة خمس منهن إلى سجن بغداد بعد ان رفعن طلب الندم وتأييد من مدير سجن محافظة العمارة الذي رفع تقريراً يثبت التزامهن بالضوابط وعدم اثارتهن المشاكل.

بعد اكمال الحديث مع مدير سجون بغداد انتقلنا من قواطع أخرى من السجن، قبل لقاء مديرة السجن، لسماح قصص السجينات التي لا تشبه القصة، بمعنى ان كل واحدة منهن لها حكاية وحكاية البعض منها تجعلك تجشش ويخزج صوتك ولا تستطيع ان تعلق بكلمة واحدة، والبعض الآخر في الحكايات تجعلك تجس غضبك وتقض فكيف بقوة حتى لا تصفعن جراء افعالهن الوحشية.

### ماكينة خياطة

كانت تجلس خلف ماكينة الخياطة في قسم التشغيل الخاص بسجن النساء، وتصحب بالسكاد قطعة القماش الزرقاء اللون لتسلكها الى ثوب (زي السجن)، يدها ترتعش عندما تنطبق القطعة، فهي امرأة تجاوزت العقد الثمانين من عمرها.

سألتهما ماتهمتيما فجاببت (ام....) والحكومة وفق المادة ٤ ارباب، متلعقة قليلاً: لقد انتهت بالاستمر على احد ابنائي الذي قام بخطف شخص وحكم القاضي بحبسني سنة سجن، لكني لم افعل شيئاً من هذا القبيل؛ وبالجانب الآخر كانت ذات بشرة قتاة برغبتها في الحديث معنا، كانت ذات بشرة بيضاء ناصعة، جميلة جداً، تمتاز برشافة جسم وطول يجعلها مؤهلة لان تكون عارضة ازياء بدلا من ان تكون سجنية في هذا المكان، لكنها اجهت في الكساء قبل ان تنطق حرفاً واحداً، صممت بعد ان جففت دموع عينها بكفيتها وقالت: انا لم افعل شيئاً غير الزواج من رجل اكبر مني سنأ ولم يكن ذنبني ذلك انما رغبة عائلكي التي اجبرتني على الزواج من رجل كبير ومترجخ ولديه اطفال، وفي احد الايام تعرضت ابنة زوجي الى وعة صحية مفاجئة، توفيت بسببها، فما كان من عائلة زوجي الا توجيه الاتهام لي وسلموني الى الشرطة بتهمة انني السبب في موتها، والان انا اقع في السجن مدة ١٠ سنوات، ولدي طفل احتفظ به والده الذي لم يسأل عنى وتركني واجه مصيراً لا اعرف بدايته ولا نهايته، ولم يكلف نفسه تكليف محام للدفاع عني انما اشترك مع عائلة باتهامي بالباطل. بعد ذلك خرجنا من قسم التشغيل ونحننا احدي الزرنائات في قاطع الجنائيات (قتل) استقبلنا طفلان صغيران بابتسامة اشعلت الشئران احدي



مدير سجون بغداد ناظم المالكي



مديرة سجن النساء

صدورنا وجعلتنا نصد ما نسمع ونراه في هذا السجن من قصص ومشاهد كنا نشاهدها فقط في بعض الافلام العربية والهندية!! الطفل الاول يدعى محمد وهو ابن احدى السجينات المتهمات بجريمة قتل زوجها واحتفظت بالطفل معها بالسجن لانها والدته، الطفل كان يمسك بكبيس (جبس ونستلة) رماه بسرعة وبدأ يصق بكفبه الصغيرتين عندما فتح باب الزنزانة وبدأ يترنح بجسده يميناً ويساراً لعل حركاته تشفع له بالخروج، من هذه الزنزانة، التي تضم في أروقها عدداً من الأسرة ذات الطابقين وما لا يقل عن ١٠ سجينات، وطفل اخر بالسكاد بدأ يخطو خطواته الأولى في تعلم المشي.

### زنازه خمسة نجوم

وفي الوقت ذاته تعجبت لما شاهدته فالزنزانة مجهزة بجهاز تلفاز نوع بلازما، فضلاً عن جهاز تبريد (سبلت) زنة ٢ طن وثلاجة ومجمدة تحتويان على ما لا وطاب من أطعمة وماء معقم، وفي نهاية رواق الزنزانة قطعة قماش كبيرة ربطت بجدران الزنزانة من الجهة اليمنى واليسرى لتشكل سياجاً قماشياً للحمام.

والدة الطفل محمد كانت لا تحمله بين ذراعيها، إنما كان في كنف سجنية أخرى فهو يعتبر الطفل الملل لأنه أجمل من (احمد) وهذا حسب تعليق السجينات، ورغم ملامح الهدوء التي ترسم على وجه والدته المدعوة (ز) التي قامت بقتل زوجها بطريقة حيث استغلت دخول زوجها الى الحمام للاستحمام، فقامت بسحب سلاحه الشخصي وتصويبه الى صدر زوجها عن طريق فتحة مرشحة الهواء لتطلق عياراً نارياً واحداً يصيبه مباشرة في منطقة الصدر (القلب) لترديه قليلاً في الحال؛ تقول (ز) لا اعلم كيف تجرأت وفعلت ذلك بالرغم من ترتيب تفاصيل الجريمة بشكل لا يتكفأ وجميع تلك التفاصيل انقلت عليها مع عشيقتي الذي وعدني بالزواج بعد الخلاص من زوجي الذي رفض ان يطلقني، وتستذكر (ز) في حديثها قائلة: لقد قدمت على فعليتي واتمنى ان أرى أولادي الثلاثة الذين يعيشون في بيت جدهم، مع العلم ان احد اولادي البالغ من العمر ٨ سنوات هو من فضح امري اذ أخبر رجال الأمن بانه شاهدي وانا احمل السلاح عندما خرجت الى الحديقة.

### حالات ولادات طارئة

وتستدرك ميسون في حديثها قائلة: هناك بعض الموقوفات يدخلن الى السجن وهن حوامل ونظراً لتأخر حائل الدعاوى الخاصة بهن يكمن اشهر الحمل داخل الموقف، فيتم نقلهن الى اقرب مستشفى يصبحية ريفية وحارسان، فاذا كان الطفل شياً يخبر والده ويسجل باسم ام اذا لم يكن كذلك فيترك الامر حتى يتم حسم موقف والدته وعلى العموم هو يسجل باسمه الرجل الذي تزوجته السجون؛ لكن بدون وجود اوراق تثبت صحة الزواج، الطفل يعتبر غير شرعي حتى لو سجل باسم ذلك الرجل، وما تقدمه ادارة السجن للطفل هو تقديم سير صغير وخفاطات اطفال وحليب ومساء معقم وبعض الملابس، وفي حالة تعرض طفل لحالة مرضية طارئة يحتاج الى نقله الى اقرب مركز صحي يتم الاتصال وارسال ذاء للدائرة العامة، من اجل الحصول على موافات لنقله بأسرع وقت ممكن واذا تعذر يتم الاتصال بضابط الخفر ونقله مباشرة.

### مديرة السجن

مديرة سجن النساء ميسون تحدثت لـ (المدى) قائلة: يبلغ العدد الكلي للسجينات ٢٨٧ يشمل ((المحكومات والموقوفات)) والسجن مكون من قسمين قاطع محكومات، وقاطع موقوفات الذي يتكون من قاطعين، اما بالنسبة الى قاطع المحكومات فيتكون من ٦ قاعات مقسمة ((بغاء، قتل، مختلطة)) وهذا التقسيم كان نظراً لضيق المكان ولو كان اكثر سعة لاختلف التقسيم. وازافت ميسون في حديثها قائلة: السجن السابق

### مطلأ

وتضيف ميسون قائلة: هناك ٣٢ طفلاً تبدأ اعمارهم من يوم حتى ٩ سنوات و ١٢ طفلاً هم من ابناء ابو ايوب المصري وابو عمر البغدادي، ويبلغ عمر ابن ابو عمر البغدادي ٩ سنوات وهذا غير مسجوح به في القانون، لان الطفل يفضل عن والدته، وفي السجن بمجرد بلوغ الثلاث سنوات، وحاليا قدمت عدة كتب لترحيلهم الى سجن الأحداث، وعلى العموم هناك اطفال يسلمون الى عوائل السجينات والبعض الاخر منهن لا يمكن عائلة تحفظ بالاطفال وهذه مشكلة ايضاً لان الطفل بحاجة الى الحرية وليس السجن داخل جدران كونكريتية وينتظر فترة الاستراحة.

### العاب الأطفال و حقوق الإنسان

اما فيما يخص وضع الاطفال داخل السجن فقد اكدت ميسون: ان لجنة حقوق الإنسان قدمت مجموعة من ألعاب الاطفال البلاستيكية تعرضت جميعها الى الكسر والان الاطفال بحاجة الى وسائل ترفيهية فن البدهي ان يتعرض الطفل الى الاصابة بحالة نفسية نتيجة ذلك.

### محو الامية

وفيما يخص تعليم السجينات قالت ميسون: ان اقامة دورات محو الامية غير موجودة نظراً لضيق المكان، لكن السجينات يعلمن بعضهن البعض القراءة والكتابة، وحاليا تم توزيع اكثر من ٥٠ مصحفاً بناء على طلب السجينات لقراءته في شهر رمضان المبارك.

### قبل المغادرة

قبل مغادرة السجن شاعت الصدفة ان نلتقي بالحامية ولاء التي اتهمت بقتل والدتها وشقيقتها، قبل عدة اشهر فكان الوقت مناسباً للحديث معها لكنها كانت حزينة ومصممة على نيلها البراءة مدعية ان كل التهم التي وجهت اليها غير صحيحة.

ودعنا سجن النساء على امل العودة اليه في وقت لاحق لا كسجناء انما كاعمال لبثل الصورة على حقيقتها وبعيداً عن المغالاة في نقل الحقائق ان كانت سلبية أم ايجابية.



طعام متنوع ورشة الخياطة